ديوان أبي بكر الخوارزمي

صنعة الدكتور حامد صدقي

نقد واستدراك

هلال بن ناجي

بين يدي الديوان

رفيعةٌ هي المكانة التي تبوأها أبو بكر الخوارزمي في تاريخ الأدب العربي في القرن الرابع الهجري، رفيعةٌ وموغِلةٌ بجذورها عبر الزمن، ومن هذا المنطلق، فقد أفرد له ولأدبه عدد من أعلام الكتاب العرب كتباً، من بينهم السيد إبراهيم محمد الدُّد [١]، والدكتور أحمد أمين مصطفى[٢]، ومأمون بن محيي الدين الجنان[٣]. ثم أتبعها الدكتور حامد صدقي بديوان الخوارزمي[٤] الصادر في طهران عام ١٩٩٧، مكمّلاً هذه السلسلة القيّمة من المصنّفات المكرّسة للخوارزمي أديباً وإنساناً. والكتاب الأخير كان جزءاً من أُطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها نوقشت في جامعة طهران ونالت درجة "ممتاز جداً"، والأطروحة تضمَّنت ــ بالإضافة إلى ما ضمّه الكتاب المطبوع ــ دراسةً عن الخوارزمي في المصادر المختلفة، ودراسة عن نثره أيضاً.

والخوارزمي جدير بهذا وبأكثر منه. فقد حفظت المصادر أنَّه عدا شاعريته وبلاغته في نثره، فقد امتاز بحفظ الأسامي والكُنى والأنساب، وأنه كان

---

(١) الخوارزمي بين شعره ونثره – القاهرة ١٩٨٥.

(٢) الخوارزمي: حياته وأدبه – القاهرة ١٩٨٥.

(٣) الخوارزمي بين نثره وشعره– بيروت ١٩٩٣.

(٤) ديوان أبي بكر الخوارزمي– طهران ١٩٩٧.

حافظاً للّغة عارفاً بأصولها[٥]، وكان ما يحفظه من أشعار مصدراً لعجائب الأخبار، وكأنّه أعجوبة من أعاجيب زمنه في قوة الحافظة [٦].

لقد عقد محقق الديوان فصلاً عن عصر الشاعر تحدث فيه عن الحياة السياسية فيه، وأنّه عاصر الدول السامانية والبويهية والحمدانية والزيارية، ثم تكلّم عن الحياة الاجتماعية فالثقافيّة في عصر الشاعر.

أفرد بعدها فصلاً ثانياً عن حياة الشاعر من المهد إلى اللحد، ثم عقد فصلاً ثالثاً عن شعر الخوارزمي، تحدَّث فيه عن الخوارزمي شاعراً وعن ضياع ديوانه، وخَمَّن أنَّ هذا الديوان كان يضمّ ٤٠٠٠-٥٠٠٠ بيت تقدير، وانتهى إلى القول بأنَّ حصيلة ما جمعه ممّا تبقَّى من شعر، خلال أعوام عدّة بلغت (٩١٨) بيتاً ثم بسط القول عن أغراض شعره وفنونه وخصائصه وسماته شكلاً ومضموناً.

وختم هذا كلّه بما سمّاه "ديوان أبي بكر الخوارزمي"، ولخّص جهوده عبر السنين الطوال التي كرّسها لإنجاز جمع هذا الديوان بقوله: "إنَّني حاولت استقراء جميع المصادر الموجودة في مكتبات طهران، والتي احتملت العثور فيها على ما يخصّ الخوارزمي، وكنت أقلّبها ورقةً ورقة، وأتصفحها صفحةً صفحة؛ لعلّي أعثر في تضاعيفها على بيت للخوارزمي، بل وحاولت الاتصال بعدد من الدول خارج الجمهورية الإسلامية في إيران من أجل الحصول على كتاب احتملت أنَّه مفيد لبحثي هذا"[٧]. وختم كتابه بعدد من الفهارس ــ أبرزها فهرس المصادر والمراجع ــ التي احتوت ٢٩٠ مصدراً ومرجعاً.

---

(٥) الأنساب للسمعاني ٢١٤/٥ و ٣٨/٩.

(٦) وفيات الأعيان ٤١٦/١ ، وأنساب السمعاني ٢١٤/٥.

(٧) ديوان أبي بكر الخوارزمي.

ماذا يقدِّم هذا المستدرَك:

والمستدرَك على شعر الخوارزمي الذي نقدِّمه اليوم ضمَّ (٢٧٥) بيتاً، وختم الديوان الذي صنعه المحقق د.حامد صدقي، وطبع في طهران (٩١٨) بيتاً، فالمستدرَك أقل بقليل من ثلث الديوان. فهو بالتالي مستدرَك ضخم من حيث الكمّ، أمّا من حيث طبيعة وكنه المحتوى فإنّه يضيف أشعاراً بالغة الأهمية من شعر الوصف، وهو شعر يجلو القدرة الفنية العريقة لدى الشاعر في رسم الصور، وبالتالي هو فنّ جديد تأثّر بالعصر.

عالج الخوارزمي الطبيعة الحيّة والطبيعة الساكنة، ووصف، أيضا، بعض المظاهر العلمية والاجتماعية وبعض الأطعمة والمأكولات، وكانت شواهد ذلك في ديوانه المنقود محدودة واستطعنا بهذا المستدرك أن نقدِّم نماذج جيدة من شعر الوصف حفل بها. فقد وصف: الضفدع والناقة والحصان والقبج والحمّام وإحدى القلاع والمنجنيق. ووصف الخلعة والسفرجل والأعناب والريباس والهريسة وغيرها.

ولا شكّ أنّ كشفنا هذه القصائد والمقطعات والنُّتف الوصفية الضائعة المنقول جلّها عن المخطوطات النادرة الغميسة، سيفتح المجال أمام الباحثين لدراسة هذا الغرض الشعري في شعر الخوارزمي ومدى الأصالة والإبداع فيه.

كما تضمّن المستدرك الذي نقدمه نماذج جيدة من شعر الهجو السّاخر افتقدها الديوان المنقود، ممّا يصحّ أن نسميها رسوما (كاريكاتورية)، وهي رسوم فنيّة مثيرة للتأمّل.

ثم أنّي رأيت أن أختتم هذه المقدمة المقتضبة بمجموعة من المآخذ النقدية على ما ورد في نص الديوان والدراسة التي تصدَّرته، آثرت الوقوف عند أبرزها:

المأخذ الأول: نسبة أشعار للخوارزمي ليست له

نسب المحقق في عدة مواضع من الديوان أشعاراً ثابتة النسبة إلى غيره في دواوينهم، نسبها للخوارزمي ضِلّةً. فلقد ظنّ أنّ كل شعر تضمنه كتاب "رسائل الخوارزمي" هو له، ولم يدرِ في خلَدَه أنَّ هذه الأبيات قد تكون لشعراء آخرين، أوردها الخوارزمي مستشهداً بها. وهكذا انسرب إلى ديوانه ما هو ثابت النسبة لغيره.

وسأثبت بالأدلة العلمية بضعة نماذج ممّا تقدم ذكره:

١. صلّى الإله على امرئٍ وَدَّعْتُهُ وأتمَّ نِعْمَتَهُ عليهِ وزادها

أوردها محقق الديوان في ص٣٤١، من ديوان الخوارزمي، ومصدره رسائل الخوارزمي ص٧٠، وهو وهم فهو بيت مشهور لعدي بن الرّقاع العاملي في ديوانه ص٩١ من مطولة أولها:

١. عرف الدِّيار توهمَاً فاعتادها من بعد ما شمل البلى أبلادَها

٢. وما كان قيسٌ هُلكه هُلْكَ واحدٍ ولكنّه بُنيان قومٍ تهدّما

نَسَبَهُ المحقق إلى الخوارزمي[٨]. والصواب: أنَّ البيت للشاعر عبدة بن الطبيب في ديوانه ص٨٨ من مقطعة أولها:

عليك سلامُ الله قيس بن عاصمٍ ورحمتُه ما شاء أن يترحّما

---

(٨) ديوان الخوارزمي ص٤٠٦.

وقد قيل إنَّه أرثى بيت قالته العرب[٩].

٣- أورد محقق الديوان البيت التالي منسوباً للخوارزمي:

أيـــا لـــيلة الوصـــل لا تـــنفذي ويـــا لـــيلة الـــبعد لا تـــنفذي[١٠]

نقـــلاً عـــن "رسائل أبي بكر الخوارزمي" ص٩١. وهذا البيت وقع فيه من التّصحيف والتّحريف ما صوابه:

ويـــا لـــيلة الوصـــل لا تـــنفدي كمـــا لـــيلة الهجـــر لا تـــنفدُ

وأقـــول: البيت ليس للخوارزمي بل هو لعبد الصمد بن المعذل في ديوانه[١١]، من مقطعة هذا نصّها:

أقـــولُ وجُـــنح الدُّجـــى مُلْـــبَدٌ وللّـــيْلِ فـــي كـــلِّ فـــجٍّ يَـــدُ
ونحـــن ضـــجيعان فـــي مُجْـــسَدٍ فللّـــه مـــا ضُـــمِّنَ المُجْـــسَدُ
أيـــا لـــيلة الوصـــل لا تـــنفدي كمـــا لـــيلة الهجـــر لا تَـــنْفَدُ
فـــيا غَـــدُ إن كـــنتَ بـــي محـــسناً فـــلا تَـــدْنُ مـــن ليلتـــي يـــا غَـــدُ

٤- نسبَ المحقق للخوارزمي في ديوانه[١٢] البيتين التاليين:

لا تمـــدحنّ ابـــنَ عـــبّادٍ وإن هطلـــتْ كفّـــاهُ بالجـــود ســـحّاً يُخجل الدِّيما
فإنَّهـــا خَطَـــراتٌ مـــن وساوســـه يُعطـــي ويَمْـــنعُ لا بُخـــلاً ولا كَرَماً

---

(٩) الأغانـــي ١٦٣/١٨ ط ســـامي. المصون في الأدب ص١٦، نور القبس ص٢٨ وشرح المضنون به ص٢٣٨، وديوان عبدة بن الطبيب ص٨٨.

(١٠) ديوان الخوارزمي ص٣٤١.

(١١) ديوان عبد الصمد بن المعذل ص٩٧.

(١٢) ديوان الخوارزمي ص٤٠٩-٤١٠.

والـــصواب: أنَّ الثانـــي منهما لشاعر اسمه معاوية بن سفيان، قالهما في الحسن بن سهل وكان مؤدِّباً لأولاده، فعتب عليه الحسن في شيء، فهجاه بقوله:

لا تمـــدحَنْ حَسَناً في الجود إن مطرتْ كفّـــاهُ غـــزراً ولا تذممـــه إن زَوِما
فلـــيس يمـــنع إبقـــاءً علـــى نَـــشَبٍ ولا يجـــودُ لفـــضل الحمـــد مغتنما
لكـــنّها خطـــراتٌ مـــن وساوســـهِ يُعطـــي ويمـــنعُ لا بُخْـــلاً ولا كَرَما

فهـــذا البيت أورده المرزباني محمد بن عمران بن موسى، وهو معاصر للخوارزمي منسوباً لمعاوية المذكور في معجم الشعراء[١٣]. ومعاوية هذا –وهو شاعر بغدادي– راوية كان أحد علماء الكسائي، وكان معلم أحمد بن إبراهيم بن الكاتب ونديمه، فالبيت إذن لمعاوية هذا وليس للخوارزمي.

٥– نسب محقق الديوان البيتين التاليين للخوارزمي[١٤]:

أيّ خيـــرٍ يـــرجو بنو الدهر في الدّهـــ ـــــر ومـــا زال قـــاتلاً لبنـــيهِ
مـــن يُعَمَّـــر يُفجـــع بمـــوت الأخـــلا ءِ ومـــن مـــات فالمـــصيبة فـــيهِ

صنّفه د.يوسف السامرائي[١٥] نقلاً عن معاهد التّنصيص[١٦].

٦– أورد محقق الديوان البيتين التاليين منسوبين للخوارزمي:

اقْـــرَ الـــسلامَ علـــى الأميـــر وقُلْ له إنّ المـــنادمةَ الرضـــاعُ الثانـــي

---

(١٣) معجم الشعراء: للمرزباني ص٣١٦.

(١٤) ديوان الخوارزمي ص٤٢٣.

(١٥) شعراء عباسيون ص٩٥.

(١٦) معاهد التنصيص: العباسي ص١/٢٣٠.

إنّ المـــــنادمةَ التـــــي نادَمْتَنـــــي رفعــتْ عنانــي فــوقَ كــلِّ عنانِ

وأقــول: وُهِــمَ المحقــق في ذلك، فالبيتان من أصل سبعة أبيات للشاعر عــصابة الجرجرائـــي فـــي كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز[١٧]، وهما الرابع والخـــامس فيها. والأول لعصابة أيضاً في الدرّ الفريد وبيت القصيد[١٨]. وله في زهر[١٩] الآداب، وكان عصابة قد كتبها إلى الحسن بن رجاء.

٧- نَسَبَ محقق الديوان للخوارزمي البيت التالي:

إذا مُقْـــرَمٌ مـــنّا ذَوى حَـــدُّ نابـــهِ تَخَمَّــطَ مــنّا نــاب آخــر مُقْرَمِ[٢٠]

والصواب: أنَّه لأوس بن حجر في ديوانه[٢١].

وقــد لحــق تحــريفان. ذوى: صوابها (ذرا)، ومعناها وقع أو كلَّ. منّا: صوابها (فينا)[٢٢].

٨- ونسبَ محقق الديوان البيتين التاليين للخوارزمي[٢٣]:

٣- ومـــا خُلقــت كفّــاك إلاّ لأربـــعٍ عـــوائدَ لـــم تخلـــق لهـــنّ يـــدانِ

٤- لتقبـــيل أفـــواهٍ وتـــبديد نائـــلٍ وتقلـــيب هـــنديّ وجـــرّ عـــنانِ

---

(١٧) طبقات الشعراء لابن المعتز ص٣٩٩.

(١٨) الدّر الفريد: لابن أيدمر ١٨٦/١.

(١٩) زهر الآداب: الحصري ٥٥٦/١.

(٢٠) ديوان الخوارزمي ص٤٠٦.

(٢١) ديوان أوس بن حجر ص١٢٢.

(٢٢) ينظر معظم مقاييس اللغة ولسان العرب (ذار، قرم) والتاج (خمط، قرم).

(٢٣) ديوان الخوارزمي ص٤٢٠ النتفة رقم ٢٤١.

والـــصواب: أنهما من مقطعة في أربعة أبيات لابن عبد ربّه الأندلسي في ديوانه[٢٤]. والأولان فيه:

١- أمـــا والـــذي سوّى السماء مكانها ومـــن مـــرج البحـــرين يلتقـــيانِ
٢- ومن قام في الأوهام من غير رؤية بأثـــبتَ مـــن إدراك كـــلِّ عـــنانِ

والثالث والرابع لابن عبد ربه في شرح المقامات[٢٥].

٨- ومن الشعر الذي ضمّه الديوان ثلاثة أبيات هذا نصّها[٢٦]:

أيّهـــا الـــربعُ لِـــمَ عـــلاكَ اكتـــئابُ أيـــن ذاك الحجـــابُ والحُجّـــابُ
أيـــنَ مـــن كـــان يفـــزع الدهـــرُ منه فهـــو الـــيوم فـــي التـــراب تُـــرابُ
قُـــلْ بـــلا رِقْـــبَةٍ وغيـــر احتـــشامٍ مـــات مـــولايَ فاعترانـــي اكتـــئابُ

ولا أدري كـــيف انـــزلقت هذه الأبيات واندرجت في ديوان الخوارزمي، فابن خلّكان الذي رجع إليه المحقق جاء فيه ما نصّه:

"ثم رأيتُ في كتاب اليميني للعتبي هذه الأبيات، وقد نسبها إلى أبي العباس الضبّي، ثم قال: ويقال: إنَّها لأبي بكر الخوارزمي، وقد اجتاز بباب الصاحب بن

---

(٢٤) ديوان ابن عبد ربّه ص ١٦٦.

(٢٥) شـــرح مقامـــات الحريري للشريشي ج٢ص٢٨ وروايتهما فيه: رواية الثالث: كفاه... عقائل لم يعقل ورواية الرابع: وإعطاء نائل.. وحبس عنان، والثالث والرابع أيضاً لابن عـــبد ربـــه فـــي نفح الطيب ج٣ ص٤٣٥ وروايتهما فيه: رواية الثالث: عقائل. روايّة الرابع : إعطاء... حبس.

(٢٦) ديوان الخوارزمي ص٣٢٤.

عـباد، ولا يمكـن أن تكـون علـى هـذا التقدير للخوارزمي؛ لأنّه مات قبل الصاحب"[٢٧]. ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان هذا في ترجمة أبي الفضل بن العميد المتوفى سنة ٣٦٠هـ.

فـابن خلكـان نفـسه نفى أن تكون الأبيات للخوارزمي؛ لأنَّه توفي قبل الـصاحب بـن عباد. والعتبي صاحب كتاب اليميني نسبها لأبي العباس الضبّي، فما الذي دفع محقق ديوان الخوارزمي إلى ترجيح إدراجها في ديوانه؟؟

المأخذ الثاني:

مـن القواعد المستقرة في ميدان تحقيق الشعر، أنَّه لا يسوِّغ البتَّة اعتماد مصدر حديث في تخريج شعر قديم أو توثيق نسبته.

لقـد أغفل محقق ديوان الخوارزمي هذه القاعدة، ومضى يخرِّج الأشعار أحـياناً علـى مـصادر صنفت في القرن العشرين مثل: أعيان الشيعة للعاملي، ومنـتخب الأدب العربي لأحمد الاسكندري، وأحمد أمين ورفاقهم، والحيوان في الأدب العربـي لـشاكر الشكر، وقول على قول للكرمي، وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد الصدر، وتاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات، وتاريخ الأدب العربـي فـي خـوارزم لهند حسين طه وغيرها. وأرى أنّ ما انفرد به مصدر حديث دون أن يعزز بمصدر قديم للتخريج، وجب حذفه من الديوان للسبب الذي تقدم ذكره.

---

(٢٧) وفيات الأعيان: ابن خلكان ج٥ ص١١٠.

لقــد كان محقق الديوان ينسب أشعاراً للخوارزمي في ديوانه معتمداً على أقــوال معاصــرين من القرن العشرين، وهو عمل مرفوض علميّاً، ومثاله: أنّه نسب البيتين التاليين إلى الخوارزمي[٢٨]:

إذا مــا الدهــر جــرَّ علــى أنــاسٍ كــلا كلَــهُ أنــاخ بآخــرينا
فَقُــلْ للــشامتين بــنا أفــيقوا ســيلقى الــشامتون كمــا لقيــنا

وقــال فــي هــامش التخــريج ما نصّه: "اعتبر الدُّد في كتابه (أبو بكر الخوارزمــي) ص٧٩، هذين البيتين للخوارزمي، واعتبرتهما هند حسين طه في كــتابها (الأدب العربي في إقليم خوارزم) ص٢٠٢ للخوارزمي أيضاً، كما نسبا للخوارزمــي في كتاب (المنتخب من أدب العرب) [لأحمد الاسكندري وجماعته] ٣٤/٢، فكل ما ذكره محقق الديوان مردود علميّاً؛ إذ لا يصح تخريج شعر قديم على مصادر حديثة إطلاقاً. والخوارزمي في رسائله لم ينسبهما لنفسه. وقد وردا بلا نسبة في شرح نهج البلاغة[٢٩]، وفي رسائل البديع بلا عزو أيضاً[٣٠].

المأخذ الثالث: أخطاء منهجية:

كــان محقق الديوان يورد القصيدة كاملة في موضع من الديوان، وبعد صــفحات كــثار يظفر ببيتين من القصيدة ذاتها سبق إيرادها ضمنها. فيعيد نشر هــذين البيتــين فــي مكان آخر وبرقم مستقل دون الالتفات إلى سبق ورودهما. ومــثاله: القــصيدة المرقّمة (٥٨) وعدّتها (٣٥) بيتاً [٣١]، فقد أثبت منها البيتين

---

(٢٨) ديوان الخوارزمي ص٤١٨.
(٢٩) شرح نهج البلاغة ج٣ ص٣٤٤.
(٣٠) رسائل البديع الهمداني ص٢١٢.
(٣١) ديوان الخوارزمي ص٣٣٢-٣٣٤.

الحـــادي والثلاثـــين والثانـــي والثلاثـــين في النتفة ٧٩، دون أن ينتبه إلى سبق ورودهما ضمن القصيدة (٥٨).

ووقـــع المحقق في خطأ منهجي آخر حين كان يورد النتفة في موضع من الديـــوان نقـــلاً عـــن مصدر قديم، ثم يعود ويوردها برقم آخر في موضع آخر بـــراوية أخـــرى نقلاً عن مصدر آخر. مثال ذلك: أنَّه أورد النتفة رقم ٢٢٥ نقلاً عن يتيمة الدهر[٣٢]، ثم عاد وأوردها برقم ٢٤٢ برواية أخرى مع تغيير طفيف فـــي بعـــض ألفاظهـــا نقلاً عن مصدر آخر هو المنتخب من كنايات الأدباء[٣٣]. وهـــو مـــنهج منقود، والوجه أن يورد أجود الروايتين أو أقدمهما ثم يعارض بها الأخرى في هامشها.

ومن الأخطاء المنهجية إقحامه نثر الخوارزمي في ديوانه مختلطاً بأشعار مُضمّنة له أو لغيره. وأنموذجه ما ورد على الصفحة ٣٢٥ من الديوان:

أنـــا فـــي مقاســـاة حـــرِّ الـــشوق كمـــا اعـــتاد محموماً بخيبر صالبُ
وفـــي تذكـــر عهـــد الاجـــتماع كما اهتزَّ من صرْفِ المدامة شاربُ

وهـــو كلام مستغرب اختلط فيه النثر بالشعر، فعدت إلى مصدر التخريج وهـــو كتاب الطيبي "التبيان في علم المعاني والبديع والبيان"[٣٤]. فوجدت أسطراً للخوارزمـــي ردّ بهـــا علـــى أسطر لبديع الزمان الهمذاني، أنصافها الأولى نثر للخوارزمـــي، وأنـــصافها الثانـــية أشطار شعر مُضمَّنة قد تكون للخوارزمي أو غيره. وقد أسقط محقق الديوان السطرين الثالث والرابع وهما:

---

(٣٢) يتيمة الدهر ٢٦٦/٤.

(٣٣) المنتخب من كنايات الأدباء ص٥١.

(٣٤) التبـــيان فـــي علم المعاني والبديع والبيان: حسين بن محمد الطيبي حققه د.هادي عطية مطر الهلالي ص٤٢٦-٤٣٧.

وفـــي تكلّـــف الـــصبر عـــنكَ "كطالـــب جـــدوى خَلَّةٍ لا تُواصَلُ"
وفـــــي القلـــــق لفـــــراقكَ "كطائـــر جّـــوٍ أعلقـــته الحـــبائلُ"

وهذه الأشطار التي عضدناها بأقواس صغيرة، أشطار مضمّنة ــ هي وما سبقها من نثر الخوارزمي ــ أسقطها المحقق من ديوانه ولم يشر إلى ذلك.

والخوارزمي عمد بردّه هذا مجاراة ما كتبه إليه بديع الزمان ونصّه:

أنـــا لقـــرب دار مـــولانا الأســـتاذ "كمـــا طـــرب النشوان مالت به الخمرُ
ومـــــن الارتـــــياح للقائـــــه "كمـــا انـــتفض العـــصفور بلَّلَهُ القَطْرُ"
ومـــــن الامتـــــزاج بـــــولائه "كمـــا الـــتقت الصهباءُ والباردُ العذبُ"
ومـــــن الابـــــتهاج بمـــــزاره "كما اهتزَّ تحت البارح الغصن الرطبُ"

والخلاصـــة: لقـــد أخطـــأ محقـــق الديوان حين أقحم نثر الخوارزمي هذا وتـــضمينات الآخرين في ديوانه، دون أن يلتفت إلى أن الأشطار الأولى هي من نثر الخوارزمي أعقبها بأشطارٍ مُضمَّنَةٍ من شعر غيره.

المأخذ الرابع: قراءات خاطئة

فمن القراءات الخاطئة، النتفة التالية(٣٥):

ستنـــــشب نفـــــسك أنـــــشوطةً وأعـــززْ علـــيَّ بمـــن تـــشبُ
وتحملُهـــا فـــي اتّـــباع الهـــوى علـــى آلـــة ظهـــرها أجـــدبُ

تَشَبُ: صوابها: تنشب.

(٣٥) ديوان الخوارزمي ص٣٢٥.

وكـــنت أظـــنّ أنها من تطبيع المطبعة، لكنّ المحقق أمعن في غلطه فعاج يشرح في هامشه كلمة (الوشب) وقال: وشب يشب: اختلط يختلط.

قلـــت: وأمّـــا: أجـــدب، فصوابها: أحدب، والآلة الحدباء التي يُحمل عليها الإنسان في نهاية حياته هي التابوت. قال الشاعر:

كـــلّ ابـــن أنثـــى وإن طالـــت سلامتهُ يـــوماً علـــى آلـــةٍ حدباء محمولُ

ووقعت أخطاء في القراءة في الآتي:

رقم الصفحة	الخطأ	الصواب
٤٢٢	ربّ ليلة كطلعة الناصبي	ربّ ليلٍ كطلعة الناصبي
٤١٨	عَلْقٌ	علْقٌ [وهو النفيس]
٤٠٢	رأيُك آن الشرب	رَأيتُك إن أيسرت
٣٩٩	نجوت اللئام	بُخوت اللئام
٣٩٩	ساكتُنا	ساكَتَنا
٣٧٠	وبيضُ الأنوق	وبَيْض الأنوقِ
٣٦٦	فكلّما سُقّيت	فكأنّما سُقّيت
٣٥٥	جفن شرب	جفنة شِرب
٣٤٥	يَرْكِب	يُرَكَّبُ
٣٣٩	يحْكُمُ	يُحْكِمُ
٤٠١	نبت	بنتَ

وورد في الصفحة ٣٣٧ من الديوان البيت التالي:

وله:

فهـــل بقـــلٌ وروضـــة وجـــوارش وأُدْمٌ وزادٌ حامـــــــــــــلٌ زاد

قـــال المحقـــق فـــي الهامش: "وردت كلمة جوارشن في المصدر وأظنّها تصحيف؛ إذ لا معنى لها" قلت: وهذا خطأ محض.

قـــال هـــلال بن ناجي: الجوارش: جمع جريش، والجريش: دقيق فيه غِلَظٌ يـــصلح للخبيص المرمل. والملح الجريش: المجروش. وجمع جريش: جوارش، والجوارشـــنات هي أطعمة وأشربة تقدم قبل الطعام وبعده. مثل: جوارش الأترج والتفاح والسفرجل والليمون والعود والعنبر والكمون[٣٦].

المأخذ الخامس: مناقضة الثوابت التاريخية:

أورد المحقـــق النـــتفة ١٢٥ في مجاورة قبر الخليفة هارون الرشيد لقبر الإمام الرضا (٤).

هـــارون يـــا مَـــنْ أمـــرهُ بِدعـــةٌ جـــاورتَ قبـــراً قـــربُه رِفْعَـــه
تُـــريدُ أن تُفْلـــحَ مـــن أجلـــهِ لَـــنْ تَـــدْخُلَ الجـــنّةَ بالـــشفعَهْ

ومصدرهما أعيان الشيعة للعاملي.

قلـــت: ولعلهمـــا موضـــوعان، وسبب الوضع أن الخليفة هارون توفي في القرن الثاني الهجري، وأن الإمام الرضا (ع) مات في القرن الثالث الهجري أيام المأمـــون، فالمدفـــون أولاً هـــو هارون وليس الإمام، وبعده بسنوات دفن الإمام الرضـــا (ع) إلى جواره. وبالتالي: لا يمكن أن يطلب الميت مجاورة قبر إنسان ما زال حياً.

مآخذ متنوعة:

فـــي ص٣٧٣ مـــن ديـــوان الخوارزمي، أورد المحقق البيت التالي من مقطعة:

---

(٣٦) يُنظر اللسان مادة جرش. والباب الحادي عشر من كتاب (كنز الفوائد في تنويع الموائد) تحقيق مانويلا مارين وديفيد واينز- بيروت ١٩٩٣.

أبـــيتُ إذا اجـــريتُ ذكـــرك مُنـــشِداً "كأنـــك تُعطـــيه الـــذي أنت سائلهُ"

وذكر في هامشه ما نصّه: هذا المصراع تضمين.

ولم يذكر محقق الديوان لمن المصراع المُضَمَّن، وأين موقعه من ديوانه.

قلـــتُ: المصراع لزهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه ص ١٤٢ وبرقم ٢٤٤ مـــن الديـــوان، أورد المحقـــق البـــيت التالي منسوباً للخوارزمي نقلاً عن رسائله.

أحِـــبُّك مـــا لـــو كـــان بـــين معاشرٍ مـــن الـــناس أعـــداءً لجرِّ التّصافيا

قلـــت: لم تصرّح الرسائل بنسبته للخوارزمي. ونرى أن الشعر لغيره وقد استشهد به الخوارزمي في رسالة من رسائله.

ونسب المحقق إلى الخوارزمي البيت التالي:

لـــو كـــنت أهدي على قدري وقدركُمُ لكـــنتُ أهـــدي لـــكَ الدنيا وما فيها

قلت: والصواب أنَّ الخوارزمي استشهد بهذا البيت في رسالة كتبها.

وقـــد أغفـــل الديـــوان الحديث عن المُلَمَّع في شعر الخوارزمي. والتلميع باختـــصار: نظـــم القصيدة أو المقطعة أو النتفة الواحدة بلغتين مع اتساق المعنى وانـــتظام الـــوزن، كالفارسية والعربية، والتركية والعربية، والكردية والعربية، والإســـبانية والعـــربية، والإنكليـــزية والعـــربية. وشواهد هذا التلميع في الشعر (العربـــي- الفارســـي) موجودة في شعر أبي نواس وسواه، وموجودة أيضاً في

أشـــعار بعـــض الوشّـــاحين الأندلـــسيين الـــذين جمعـــوا فـــيه اللغتين العربية والإسبانية[٣٧].

لقد أبقت عوادي الدهر أنموذجاً واحداً جيداً من شعر الخوارزمي المُلَمَّع، حفظه ياقوت في معجم بلدانه [٣٨]. وقف عليه محقق الديوان وأثبته في ص٣٣٩ منه وشرحه في هامش الصفحة المذكورة. ورغم معرفة المحقق باللغة الفارسية وتقديمه ملخّصاً لرسالته بهذه اللغة في مطلع الديوان، إلاّ أنني وجدته (أحياناً) لم يهـــتد إلـــى المعنـــى الذي قصده الخوارزمي بدقة، وأثبت فيما يلي نصّ ترجمته للألفاظ الفارسية من الأبيات الملمّعة:

الدستبند: لعبة للمجوس يدورون وقد أمسك بعضهم يد بعض (أقرب الموارد).

جهنبند: يمكن أن يكون اسم مكان.

الدرند: تعني الشكل والمشابهة والمثل.

الخردمند: العاقل.

الدردمند: المتوجّع، المتألّم.

جند: عدد مبهم يقابل بضع في العربية.

كما نثبتُ الترجمة الأدق التي انتهينا إليها:

---

(٣٧) يراجع كتابنا "شعراء اليمن المعاصرون" وفيه نماذج من الشعر الانكلو-أراب- بيروت ١٩٦٥. وكتابـــنا (جـــيش التوشيح) للسان الدين بن الخطيب الذي حققناه وفيه خرجات كثيرة كتبت بالاربانية والعربية- تونس ١٩٦٧.

(٣٨) معجم البلدان: ياقوت. مادة (هندمند) ج٤ ص٩٩٣.

١- دســت بند: تطلق على رقصة فيها صفوف متراصة من الرجال والنساء، يأخــذ بعضهم بأيدي بعضهم الآخر عند قيامهم لحلبات الرقص، وما يزال الكرد يمارسونها باسم الدبكة.

٢- جهنبند: وهي الكأس التي رسمت عليها خطوط خريطة العالم، كلما وصل الــشارب في شربه إلى خط معين رأى جزءاً من العالم، حتى يرى العالم كلّه عند الثمالة.

٣- الدُّرَنْدِ: تعني الصورة والشكل.

٤- خِــردمند: كلمة من شقين الأول يعني العقل، والثاني بمعنى صاحب. وهو في البيت يعني حالة الصحو التي يثوب بعدها السكران إلى رشده.

٥- الدردمند: المهموم المغموم.

٦- جــندين جــند: تعنــي الكم والمقدار والكثير، وأداة استفهام عن المقادير والأزمنة. جندين: للمقدار الكثير والوافر.

والمفهوم العام للفظة: ما أكثره وأية كثرة.

الزاوية الخالية:

وقد أغفل المحقق الحديث عن **مؤلفات الخوارزمي** رغم أنَّه شاعر وكاتب له شهرته. لذا رأيت أن أفرد هذه الفقرة للحديث عن مصنفاته:

١- فأمّا ديوان شعره، وقد كان له ديوان كبير، ذكره مصنف دمية القصر ومصنف "تاريخ يميني"، وصرّحت بعض المصادر التاريخية مثل: وفيات الأعيان، وتاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء، ومرآة الجنان بوجود ديوان شعر له. هذا الديوان قد ضاع، فليس صحيحاً ما ذكره (بروكلمان) عن وجود ديوانه وأنه طبع، وأظنه خلط بين رسائله وديوانه المطبوع فعلاً وديوان شعره المفقود.

أمّا العلاّمة (سزكين)، فقد أخطأ هو الآخر عند ذكره مخطوطة شعر في كمبردج، فهي لشاعر خوارزمي آخر، لذلك يكون نُهود الدكتور حامد صدقي بإخراج ديوان الخوارزمي - بطريقة الجمع- عملاً جديراً بالتقدير سدَّ ثغرة في ديوان الشعر العربي في العصر العباسي. واستناداً لهذا الديوان المطبوع في طهران سنة ١٩٩٧هـ، قامت هذه الدراسة، وسنتحدث عنه تفصيلاً في فقرة لاحقة.

٢- رسائل أبي بكر الخوارزمي: طبعت غير مرة ومنها:

أ- طبعة بتصحيح محمد قطة العدوي- دار الطباعة المصرية- بولاق ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م- ٢٠٨ص.

ب- طبعة القسطنطينية- وطبعة الجوائب- ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م ٢٢٢ص، ف٨ ص.

ج- طبعة بومباي- حجرية- كاتبها ميرزا محمد حسن بن علي الكازروني ١٣٠١هـ/١٨٨٣م ، ٢٠٥ص، ف ٥ص.

د- طبعة القاهرة- المطبعة العثمانية- ١٣١٢هـ/١٨٩٤م، ١٣٧ص.

هـ- طبعة بيروت- تقديم نسيب وهبة الخازن- دار مكتبة الحياة- ١٩٧٠ -٢٦٣ص، فهارس ٤ص.

ومن المؤسف أن رسائل الخوارزمي هذه لم تطبع حتى اليوم طبعة علمية محققة، رغم توافر عدد كبير من مخطوطاتها في شتى مكتبات العالم. أشار بروكلمان إلى مظانّها، مع الإشارة إلى أنَّ طالباً قدَّمها إلى كلية الآلهيات بجامعة طهران محققة، ونال بها درجة الدكتوراه بتفوق.

٣- الأمثال: حققها د. محمد حسين الأعرجي، على نسخة فريدة، وطبعت في الجزائر سنة ١٩٩٣. أولها مقدمة المحقق، ثم ست لوحات من المخطوطة الفريدة المعتمدة وشغل النص المحقق الصحائف ١-٢٨٠، والفهارس الصحائف ٢٨١-٣٣٦، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرعاية- الجزائر، وهي طبعة علمية جيدة. قال عنها محقق الكتاب: "أول كتاب أهتمّ بأمثال المولدين في العصر العباسي، وهو وثيقة اجتماعية تؤرّخ لوجدان المجتمعين العراقي والشامي، فضلاً عن كونه وثيقة أدبية أبدعها المجتمع العباسي بكل طبقاته".

لقد وهم محقق كتاب الأمثال حين أضاف إلى أبي بكر الخوارزمي آثار ليست له، فمن ذلك:

١- "كتاب المناقب": قال: د. محمد حسين الأعرجي ما نصه: "ذكره الشرواني في حديقة الأفراح ص٩٥، وهو على ما يبدو في مناقب أهل البيت؛ إذ إنّ ما نقله الشرواني منه كان في منقبة من مناقب الإمام علي.

يقول هلال بن ناجي: المناقب هذا عنوانه "مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب" صنَّفه الموفق بن أحمد أبو المؤيد الخوارزمي (ت٥٦٨هـ) نشر في النجف، وطبع بالمطبعة الحيدرية سنة ١٩٦٥، قدم له محمد رضا الخرساني ٢٨٦ص، م ٢٨ص، فهارس ٣ص، فهو إذن لا صلة له بأبي بكر الخوارزمي.

٢- أمالي الخوارزمي: ذكره "الميداني"، قال د. محمد حسين الأعرجي في مقدمـــة كتاب الأمثال "، لعلَّ الخوارزمي المذكور هو أبو بكر، فقد رأينا أنّه كان عالماً باللغة، وأنّ مثل هذه الأمالي اللغوية ممَّا يليق باهتماماته وبدروسه".

يقــول هــلال معقِّــباً: وهذا الكتاب لا صلة له بأبي بكر محمد بن العباس الخوارزمـــي، وأنَّـــه لخوارزميّ آخر، فقد طبع بعنوان "الوجوه في اللغة" صنّفه محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبدالله الخوارزمي (ت ٣٨٧هـــ)، وطبع بالمطبعة العباسية في القاهرة سنة ١٣١٣هـــ/١٨٩٥م ، ووقع في ١١١ص.

٣- شـــرح ديـــوان المتنبي: ذكره الشيخ يوسف البديعي في كتابه "الصُبح المنبي". قال الأعرجي: إنّ هذا الشرح لا يعرف مصيره.

قـــال هـــلال ناجـــي: بل هو معلوم معروف، فقد عُثر على جزء من هذا الشرح في مكتبة بالمملكة المتحدة، يحققه بعضهم.

وقـــد وقع مصنِّف "المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع" الدكتور محمد عيسى صالحية، في وهم حين ذكر ما طُبع من آثار أبي بكر الخوارزمي، فأثبت بيـــنها كتاب "مفيد العلوم ومبيد الهموم" وكتاباً آخر اسمه "المكارم والمفاخر" قلت مُـــصَوِّباً: فأمّـــا "المكـــارم والمفاخـــر" فهو قطعة من كتاب (مفيد العلوم ومبيد الهمـــوم)، ومفيد العلوم هذا لا صلة لأبي بكر الخوارزمي به، فالكتاب في تفسير الألفاظ الطبيعية واللغوية في كتاب "المنصوري" للرازي. مصنِّفه أحمد بن محمد بـــن جعفـــر بـــن الحـــشّاء المتوفى في القرن السابع الهجري. حققه المستشرق جورج .س كولان وب.ج.رنو- وطبع في الرباط- مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية- المطبعة الاقتصادية- ١٩٤١-١٦٨ النص- المقدمة ٥ ص بالفرنسية ٣٠ ص الفهارس.

هـــذا ما تمكّن لي ذكره عن مصنفات أبي بكر الخوارزمي، ممَّا فات محقق الديوان ذكره.